متاحف الآثار هويتها، تطورها وواقعها المعاصر

الدكتور سعيد الحجي*

الملخص

تحتل اليوم المتاحف الأثرية مكاناً مهماً في المجتمع المعاصر، وهي أكثر نشاطاً إِذْ تُطَبَّقُ وسائل الإعلام والتقنيات الحديثة في عروضها المتحفية أكثر فأكثر. ومنذ سنوات قليلة ازدادت أهمية عرض التراث الأثري في المتاحف وتنوعت طرائق عرضها. تتميّز الآثار في الوقت الحاضر أنها في أوج انتشارها في المتاحف، فقد احتلت أولويات نشاطات وفعاليات المتاحف، وكان ذلك نتيجة مباشرة لتطور التقنيات الأثرية، فقد أنشئت متاحف جديدة، كما وُسِّعَتْ وجُدِّدَتْ المتاحف القديمة وأصبحت طرائق العرض المتحفي في تطور مستمر لتتلاءم مع التقنيات الحديثة ومتطلبات المجتمعات المعاصرة.

* قسم الآثار - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق

المقدمة:

تعدُّ المخلفات الأثرية للحضارات القديمة جزءاً مهماً من التراث الإنساني التي تشمل كل ما تركه الإنسان من مبانٍ وأدوات وفنون مختلفة. وإن الاهتمام بالمخلفات الأثرية وحفظها يزداد أهمية كل يوم على نطاق واسع محلياً وعالمياً ويحتل اليوم مركز الاهتمام الرئيس لنشاطات المتاحف، وذلك نتيجة مباشرة لتطور أعمال التنقيب وتوسيعها وإنشاء متاحف جديدة ومتنوعة، وفي الوقت نفسه توسيع المتاحف الموجودة سابقاً وتجديدها. هذا التطور الذي يمكن وصفه بالثورة المتحفية الحديثة سمحت بإدخال التكنولوجيا إلى المتاحف لتطوير طرائق العرض وحفظ البقايا الأثرية ولإرضاء متطلبات الجمهور والمجتمع المعاصر.

لكن التطور الحاصل في طرائق العرض المتحفي اليوم يطرح السؤال المرتبط بملاءمتها للتراث الأثري. ولا يقتصر العرض الأثري في المتاحف على المجموعات فقط، ولكن يشمل أيضاً عرض آثار المواقع الأثرية وأطلالها وإبرازها، إذْ يجري الانتقال من عرض القطعة الأثرية كما هي ولذاتها إلى تقديمها في مركز العرض المتحفي الذي يضم أيضاً نتائج البحوث والدراسات الأثرية وإمكانية إعادة بنائها في العرض الأثري المتحفي.

وقد سمحت عملية الربط بين علم الآثار Archéologie وعلم المتاحف Muséologie بظهور علم جديد وهو علم المتاحف الأثرية[1] Archéomuséologie، وهذا ما ساعد على تطوير متاحف الآثار musées d'archéologie وظهور أنواع جديدة منها في أنحاء العالم كلّه مثل المتاحف الأثرية العامة والمتخصصة ومتاحف المواقع الأثرية والحدائق الأثرية (الشكل1). ويشكل علم المتاحف الأثرية الطريقة المثلى لتفعيل العلاقة بين

1 DESROSIERS Pierre, 2005, L'Archéomuséologie: Un modèle conceptuel interdisciplinaire, Thèse de doctorat, Faculté des Lettres de l'Université Laval, Québec, P.323.

البحث العلمي والحفظ والعرض والنشر، بين الجمهور والبحوث الأثرية، بين اقتناء المجموعات الأثرية ونشر المعارف، بين الماضي والحاضر والمستقبل.

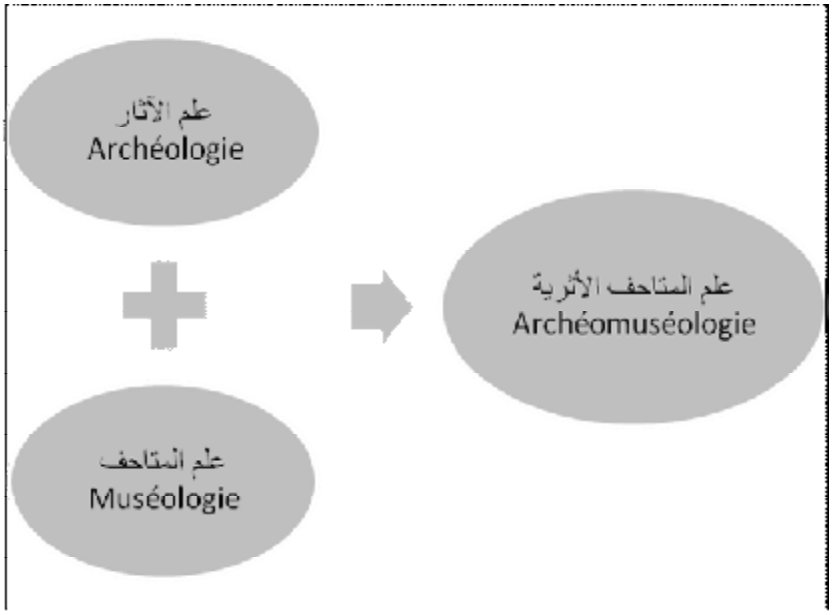

شكل رقم (1) علم المتاحف الأثرية

أولاً _ تعريف المتحف وتصنيفاته:

إن أهم المنظمات الدولية التي تهتم بشؤون المتاحف هو المجلس الدولي للمتاحف الإيكوم ICOM، وهو منظمة دولية غير حكومية للمتاحف والعاملين في المتاحف، تتألف من عضوية 146 دولة. تقوم بحفظ وتامين استمرارية الاتصال مع التراث الثقافي والطبيعي العالمي، الملموس وغير الملموس، في الحاضر وفي المستقبل. تأتي نشاطات المجلس الدولي للمتاحف استجابة للتحديات والاحتياجات المهنية للمتحف التي تركز على الموضوعات الآتية:

1. التعاون والتبادل المهني.
2. نشر المعرفة ورفع مستوى الوعي العام للمتاحف .
3. تدريب الموظفين.
4. تطوير المعايير المهنية.
5. وضع أخلاقيات المهنة وتعزيزها.
6. الحفاظ على التراث ومكافحة الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية[2].

أعطى المجلس الدولي للمتاحف ICOM أول تعريف عام 1948 بعدها وُضِعتْ عدة تعديلات على هذا التعريف لتتناسب وتطور المتاحف وإدراج وإنشاء منشآت متحفية جديدة. جاءت الصيغة الأخيرة لتعريف المتحف بحسب قانون الإيكوم المعتمد في الاجتماع السادس عشر للإيكوم في هولندا عام 1989، المعدل في الاجتماع الثامن عشر للإيكوم في النرويج عام 1995، ومن ثم في الاجتماع العشرين للإيكوم في أسبانية عام 2001، كما يأتي: المتحف هو معهد دائم، دون هدف ربحي، في خدمة المجتمع وتطوره، مفتوح أمام الجمهور، وتجري فيه البحوث المخصصة للشواهد المادية للإنسان وبيئته، يجمعها ويحفظها ويقدمها للجمهور بهداف الدراسة والتعليم والترفيه[3].

كما شمل تعريف المتحف هذا عدة مواقع ومؤسسات ومراكز ينطبق عليها شروط المتحف وحُدِّدَتْ كما يأتي:

1. المواقع والأوابد الطبيعية والأثرية والاثنوغرافية والتاريخية.
2. المعاهد التي تحفظ وتعرض المجموعات والنماذج الحية النباتية والحيوانية كالحدائق النباتية وحدائق الحيوان وأحواض الأسماك .

2 ICOM, Musées de sites archéologiques, Rapport préparé par Conseil International des Musées, UNESCO, Paris.
3 GOB André et DROUGUET Noémie, 2006, La muséologie : Histoire, développements, enjeux actuels, 2e édition, Armand Colin, Paris, p.31.

3. المراكز العلمية والفلكية.
4. أروقة الفنون ذات الهدف غير الربحي ومعارضها ومؤسسات الحفظ وأروقة العرض التي تحتوي مكتبة ومراكز الأرشيف.
5. المحميات الطبيعية.
6. منظمات المتاحف العالمية والوطنية والإقليمية والمحلية.
7. المعاهد والمنظمات ذات الهدف غير الربحي التي تقوم بنشاطات البحوث في مجال الحفظ والتعليم والمعلوماتية والتوثيق وغيرها من المجالات ذات الصلة بالمتاحف وعلم المتاحف.
8. المراكز الثقافية والمعاهد الأخرى التي تقوم بمهمة المساعدة على حفظ منابع التراث الملموس tangible وغير الملموس intangible وإدارتها.
9. المعاهد الأخرى جميعها التي يرى المجلس العالمي للمتاحف فيها صفات المتحف أو تعطي المتاحف والمهنيين المتحفيين الوسائل للقيام بالبحوث في مجالات المتاحف والتعليم والتوثيق.

تُحدَّدُ أكثر المتاحف بشكل عام بحسب طبيعة التراث الذي يُعرَضُ في كل متحف، وتتنوع المتاحف أيضاً بحسب معروضاتها والموقع الجغرافي والحجم والنظام والشكل وغيرها. فعلى سبيل المثال هناك التصنيف الذي وضعه جورج هنري ريفريه الذي قسم المتاحف إلى أربع مجموعات رئيسة[4] كالآتي:

1- متاحف الفنون وتشمل:

- متاحف الفنون التطبيقية.
- متاحف المشاهد المسرحية .
- متاحف الموسيقا والرقص .

4 RIVIERE Georges-Henri, 1989, Leçon de Georges Henri Rivière, in La muséologie selon Georges-Henri Rivière, Textes et témoignages, Dunod, Paris, p.90.

- المتاحف الأدبية.
- متاحف التصوير والسينما .
- متاحف العمارة .

2- متاحف علوم الإنسان وتشمل :

- متاحف التاريخ والآثار وعصور ما قبل التاريخ.
- متاحف الأثنولوجيا والأنتربولوجيا والفلكلور.
- المتاحف التعليمية.
- المتاحف الطبية.

3- متاحف العلوم الطبيعية.

4- متاحف العلوم والتقنيات.

كما توجد عدة تصنيفات أخرى متبعة في الدول العالمية، وأغلبها يدور حول ثلاثة مجالات رئيسة هي الفن والتاريخ والعلوم مثل التصنيف المتبع في المتاحف البريطانية[5].

ثانياً _ المتحف الأثري:

المتحف الأثري Musée Archéologique هو مكان مفتوح أمام الجمهور لعرض موقع وشرحه، أو عدة مواقع أثرية يقوم بإبرازها وتقديمها بعدة أشكال كالعروض الدائمة والمؤقتة، ولوحات الشرح، وحفظ الأوابد والبقايا الأثرية، فضلاً عن تنظيمات وأساليب أخرى متنوعة. وترتكز النواة الأساسية للمتحف الأثري على وجود العروض الدائمة وتأهيل المواقع الأثرية[6].

إن هوية المتحف الأثري ليست واضحة التحديد دوماً فهناك متاحف كثيرة تمتلك وتعرض مجموعات أثرية دون أن تكون هذه المتاحف أثرية، كمتاحف الفنون، أو

5 EDSON G. et DEAN D., 1996, the Handbook for museums, Londres, Routeledge, P.8.
6 DESROSIERS Pierre, 2005, p.299.

متاحف التاريخ، وغيرها. فهذه المتاحف وخاصة المتاحف متنوعة الموضوعات تحتوي على قسم أو أقسام لعرض القطع الأثرية.

فالمتحف الأثري هو الذي يكشف تاريخ الإنسان من خلال البقايا المادية التي يتشكل منها التراث الأثري في منطقة ما، وهنا يتجاوز المتحف طريقة الوصف للقطعة الأثرية فقط إلى تقديم كيفية إنجاز البحوث باستخدام اللقى الأثرية التي ترفق ببطاقات التعريف والنصوص الإيضاحية وتكنولوجيا وسائل الاتصال والمعلومات الحديثة NTIC (Nouvelles Technologies d'Information et de Communication) مثل تقنيات إعادة البناء الافتراضي للمواقع الأثرية وأسلوب حياة مجتمعات الحضارات القديمة أو بناء مجسمات توضيحية وماكيتات[7].

يتكون العرض في المتحف الأثري من ثلاثة عناصر أساسية هي القطعة الأثرية والمتحف والزائر. فالقطعة الأثرية، مرتبطة بالمجموعة الأثرية التي تنتمي إليها، والمجموعات الأثرية مرتبطة بالمتحف الذي يقوم بعرضها والمتحف مرتبط بالزائر الذي يأتي لزيارة المتحف. وبذلك يكون الاتصال الحقيقي بين الزائر والقطع الأثرية في محيط المتحف، وهذه العناصر الثلاثة هي نتائج لأعمال العلوم المتحفية والأثرية معاً[8] (الشكل2).

7 ROY Jean-Bernard, 2000, Qu'est-ce qu'un musée archéologique ? in Musées et collections publiques de France, n° 227, A.G.C.C.P.F., Paris, p.43.

8 ALHAJI Said, 2008, les méthodes d'expositions des collections archéologiques romaines au musée, nature et mise en scène. Etudes comparative entre les musées en France et les musées en Syrie. Thèse de doctorat en muséologie, université de Bourgogne, France, p.27.

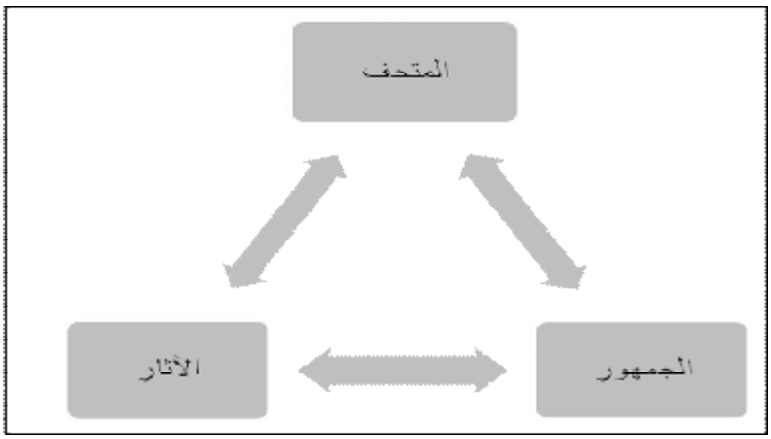

شكل رقم (2) العناصر الرئيسة لعرض التراث الأثري

ويمكن تصنيف المتاحف الأثرية بطرائق متعددة وأساليب مختلفة، نذكر منها التصنيف المتبع في فرنسة، وهو كالآتي:

1- التصنيف الأول بحسب النسبة المئوية التي تحويها المتاحف من معروضات أثرية كما يأتي:

- متاحف متنوعة العروض، وتحتوي على أقل من نسبة 50% من معروضاتها مجموعات أثرية.
- متاحف متخصصة إذا احتوت على 100% من معروضاتها مجموعات أثرية.
- متاحف ذات غالبية أثرية إذا احتوى على أكثر من 50 % من معروضاتها مجموعات أثرية .

2- التصنيف الثاني للمتاحف الأثرية يكون بحسب المنطقة أو العصر أو غيرها من التصنيفات الأخرى[9] (الشكل3).

9 NIVART Anne, 2004, De la fouille au musée, Les musées de préhistoire : nouveaux lieux, nouvelles fonctions, Thèse de Doctorat, Muséum National d'Histoire Naturelle, Département des Galeries, Paris, p.189.

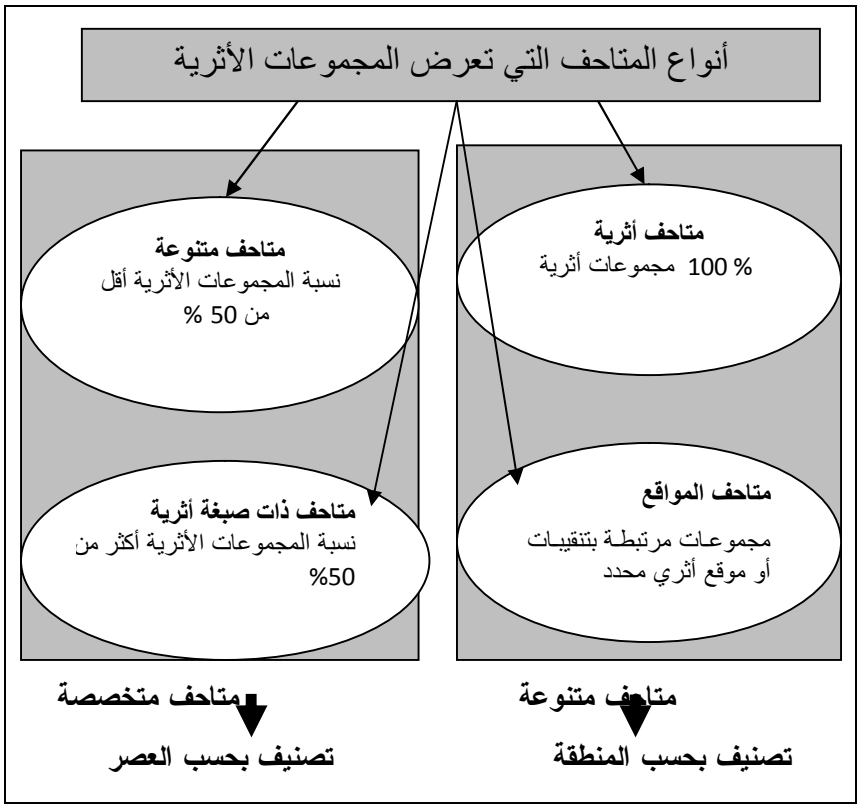

شكل رقم (3) تصنيف المتاحف التي تعرض مجموعات أثرية

1_ متاحف المواقع الأثرية:

تعدُّ التنقيبات الأثرية وسيلة متصلة لمعرفة أساليب حياة الحضارات السالفة، وعلم الآثار يرتبط بإعادة بناء التاريخ الإنساني منذ الجذور وحتى وقتنا الحاضر انطلاقاً من المخلفات المادية التي تسمح لنا بفهم التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها للحضارات القديمة وفهمها. فالعروض الأثرية هي عامل مساعد للباحثين والأثريين من أجل إعادة بناء الحضارات القديمة ويوجد في المواقع الأثرية نوعان من العروض، الأول: عرض عمارة الأوابد الأثرية، ويطلق عليها الآثار غير المنقولة

التي تطلعنا على صورة الحضارات التي بنتها، والثاني: عرض اللقى الأثرية ويطلق عليها الآثار المنقولة التي تبرز لنا تراث الشعوب التي صنعتها[10]. ومن هنا برزت أهمية متاحف المواقع الأثرية Musées des Sites Archéologiques التي تقوم بالجمع بين هذه العروض الأثرية المختلفة.

وقد وضع المجلس العالمي للمتاحف ICOM عام 1987 أول تعريف لمتحف الموقع الأثري، كما قامت اللجنة المعنية لمتاحف الآثار والتاريخ ICMAH التابعة للإيكوم بإنشاء مجموعة عمل على متاحف المواقع وإعادة البناء وعُرِّفَ كما يأتي: هو موقع أو عدة مواقع أثرية من الفترات الزمنية جميعها ومن الأنماط كلّها، ويشمل أيضاً الآثار الصناعية Archéologie industrielle، ويحتوي على تراث محفوظ ومعروض على الجمهور، محتوياً متحفاً يعرض المجموعات الأصلية القادمة من الموقع الأثري وإعادة الترميم والبناء المنجزة بحسب الدراسات و البحوث العلمية[11].

وبناءً على ذلك عُدَّ متحف الموقع الأثري الجيل الجديد من المتاحف الأثرية كما ذكر تقرير اليونسكو لعام 1982[12]، ويقوم بأخذ جميع الوسائل والطرائق لتنظيم البقايا الأثرية وعرضها في الموقع في الهواء الطلق أو ضمن مبنى المتحف، وازدادت أهمية عرض المواقع الأثرية باستمرار وبالنتيجة أنشِئَتْ طرائق عرض أثرية أخرى وتطورت انطلاقاً من متاحف المواقع كالحدائق الأثرية أو القرى الأثرية.

تقوم متاحف المواقع الأثرية بعرض تراكيب وستراتغرافيا المواقع والمواد المستخرجة من الحفريات وعلاقتها المباشرة مع وسطها الطبيعي وضمن إطارها

10 MOHEN Jean-Pierre, 2003, Les musées de site archéologique en France, in Encyclopédie Universalia, ADAGP, ISBN, Paris, p.138.
11 MOREL-DELEDALLE Myriame, 2003, Musées de sites et de reconstitutions, in Vestiges archéologiques en milieu extrême, Institut National du Patrimoine, Edition du patrimoine, Paris, p.208.
12 Morel-Deledalle M., 2003, p.212.

التاريخي[13]. فهذه المتاحف هي الأماكن حيث يقوم علم الآثار بالظهور بأشكاله كلّها التاريخية والبقايا التراثية المادية وفي الوقت نفسه تشكل نوعاً من مراكز الحفظ والبحث للدارسين والأجيال القادمة. وهي الأماكن التي يعرض بجانبها كهف، إكربول، بناء أو صرح، حي أو مدينة أثرية[14] ويجد الجمهور فيها حقيقة التركيب المحفوظ في الموقع والعروض المرتبة تاريخياً التي تسمح بإغناء الزيارة، فالمتحف والموقع يكملان بعضهما بعضاً[15].

تقوم متاحف المواقع بمهمتين رئيستين فهي تحفظ في الموقع المكتشفات والبقايا الأثرية، ومن جهة أخرى تعرض هذا التراث ليكون مرئياً وقابلاً للزيارة من قبل شرائح الجمهور جميعها، فهو يتميّز بأنه مكان لعرض كل من الموقع، والمجموعات الأثرية والبيئة الحالية التي وجدت فيها[16]. ولكن هذا العرض يتطلب الجهد الكبير وكثير من الأعمال لمتحفة التراث الأثري من دون فصله عن بيئته الأصلية. ومن أهم العوامل المساعدة على إنشاء متاحف المواقع هو تطور التنقيبات الأثرية والتطور السياحي والتفكير المتنامي لحماية التراث الأثري في مكانه الأصلي. ولكن المشكلة التي تواجه هذا النوع من المتاحف هي استحالة إنشاء متحف في كلّ موقع أثري؛ لأنه توجد آلاف المواقع المكتشفة التي تنقب في كل عام[17].

13 QUERRIEN Armelle, 1986, L'archéologie dans les musées et collections public de France, thèse de doctorat, sous la direction de Jaques TIXIER, Université Paris X, p.149.
14 CHARPY Jean-Jacques, 2001, Le musée d'archéologie dans l'actuel paysage archéologique, in Le dépôt archéologique, Conservation et gestion pour un projet scientifiques et culturel, Actes des Assises nationales de la conservation archéologique, Bituriga, Bourges, p.248
15 BARRUOL Gilles et POINSSOT Claude, 1987, Le musée de site archéologique, in Les nouvelles de l'archéologie, n° 27, Paris, p.106.
16 DESROSIERS Pierre, 2006, Le modèle archéomuséologique et son application dans le musée d'archéologie, in Un musée d'archéologie, pour quoi faire ? Actes du colloque, L'asbl Musées et société en Wallonie (MSW) et la Société des Musées Québécois (SMQ), Namur, Belgique, p.19.
17 Roy J. B., 2000, p.45

من الأمثلة على بعض أنواع متاحف المواقع الأثرية في العالم التي أُنشِئَتْ لتتلاءم والخصوصية المحلية لكل منها:

- متحف موقع ومحمية طبيعية وموقع أثري: متحف حضارة السلت في موقع Bibracte الأثري، فرنسة.
- متحف موقع ومتحف تاريخ مدينة: كمتحف تاريخ برشلونا Barcelone، اسبانيا.
- متحف موقع وحديقة شعبية: كمتحف تاريخ مرسيليا Marseille، فرنسة.
- الحديقة الأثرية لمدينة قرطاج Cartage، تونس.
- متحف إعادة البناء: كمتحف العصور الوسطى في ستوكهولم Stockhlom.
- القرى الأثرية: القرى الفرعونية، قرية الغولوا Village Gaulois في سانت جوليان، فرنسة.

وتشكل متاحف المواقع الأثرية في الوقت الحاضر مراكز للبحوث العلمية، والأثرية فهي لا تحتوي فقط أرشيف الأرض، ولكن تحوي أيضاً المعلومات والوثائق المتعلقة بالموقع أو المنطقة الأثرية. فهذا النوع من المتاحف يقدم الوسائل الضرورية لإجراء البحوث الأثرية والعلمية، وفي الوقت نفسه يقيم العلاقة أو الرابط بين سلسلة العمليات الأثرية وعرض الموقع الأثري، بين التراث الأثري المنقول وغير المنقول، بين مكان المكتشفات الأثرية وبيئتها الحالية والقديمة[18]. يتلاءم متحف الموقع ومتطلبات كل موقع أثري، وقد تطور بسرعة في السنوات الأخيرة بفضل ارتفاع أعداد زواره والتطور المستمر في البحوث الأثرية.

تعددت أهداف إنشاء متحف الموقع بالنسبة إلى الموقع نفسه أو إلى سكان المنطقة، فمتحف الموقع يشكل مركزاً محلياً للحفظ ونشر التراث والنشاطات والبحوث المنجزة في الموقع الأثري، ويشكل أيضاً وسيلة فعالة للتطور الاقتصادي والثقافي في المنطقة المقام بها متحف الموقع[19] ويمكن اختصار أهم هذه الأهداف بما يأتي:

18 Desrosiers P., 2006, p.19
19 Morel-Deledalle M., 2003, p.212

- تقديم الموقع الأثري وعرضه واللقى المكتشفة فيه.
- نشر التراث الأثري والتاريخي والبحوث التي تدرس هذا التراث.
- حفظ المجموعات والأوابد الأثرية في مكانها الأصلي.
- تطوير منطقة متحف الموقع الأثري اقتصادياً وسياحياً وثقافياً.

وقد أسهمت أعمال البنى التحتية في عصرنا الحاضر بالكشف عن كثير من الآثار والقيام بتنقيبات إنقاذية لهذه المكتشفات، وشكل حفظ هذا التراث وحمايته وعرضه أهمية أساسية، ونتج عن ذلك عدة مشكلات مثل مشكلة حفظ البقايا الأثرية غير المنقولة في الموقع In Situ، ودمجها في البيئة المدنية المعاصرة، وجعل هذا الموقع قابلاً للزيارة من قبل الجمهور، وخلق وسائل تساعد على تقديم الموقع الأثري وشرحه وجذبه لأكبر عدد ممكن من جمهور الزائرين.

هناك عدة جمعيات ومشاريع وطنية وعالمية أُنشِئَتْ لتطوير عرض التراث الأثري مثل المركز العالمي للمباني والمواقع ICOMOS (Conseil International des Monuments et des site) الذي أسس عام 1964 بهدف حفظ التراث والمواقع الأثرية والتاريخية وعرضها[20]. كما أنشئ عام 2001 في بلجيكا مركز للبحث الأثري وعرض البقايا الأثرية في مكانها الأصلي وسمي هذا المركز باسم Association in Situ. وكذلك أنشئ مشروع APPEAR عام 2005 بإدارة الاتحاد الأوربي لتأهيل المواقع الأثرية وعرضها الذي قام بنشر دليل عالمي يساعد على تأهيل مواقع التراث الأثري وعرضها وحفظها بالاستناد إلى أسس وقواعد ومنهجية علمية صحيحة[21].

من الأمثلة النموذجية على متاحف المواقع والحفظ في الموقع للتراث الأثري، متحف حضارة Gallo-romaine في مدينة ليون بفرنسة الذي أقيم في موقع المسرح

20 ICOMOS,(Conseil International des Monuments et des Sites), 1996, Chartes internationales sur la conservation et la restauration, UNESCO, Paris.

21 APPEAR, Mise en valeur des sites archéologiques en milieu urbain, Guide pratique, Rapport de recherche n° 30/3, Commission Européenne : Direction Générale de la Recherche, Belgique, 2005.

الروماني، ورُبِطَ المتحف وموقع المسرح الروماني بزيارة واحدة، إِذْ يدخل الزائر إلى المتحف ومن ثم يخرج في المستوى السفلي منه إلى موقع المسرح الروماني، لكن الجدران الإسمنتية الخارجية للمتحف أُخْفِيَتْ تحت طبقة من التراب المزروعة بالنباتات والشجيرات وبذلك دمج بناء المتحف في الموقع الأثري على أفضل وجه (الشكل 4_5).

شكل رقم (4) متحف حضارة Gallo-romaine وبجانبه المسرح الروماني في مدينة ليون بفرنسة

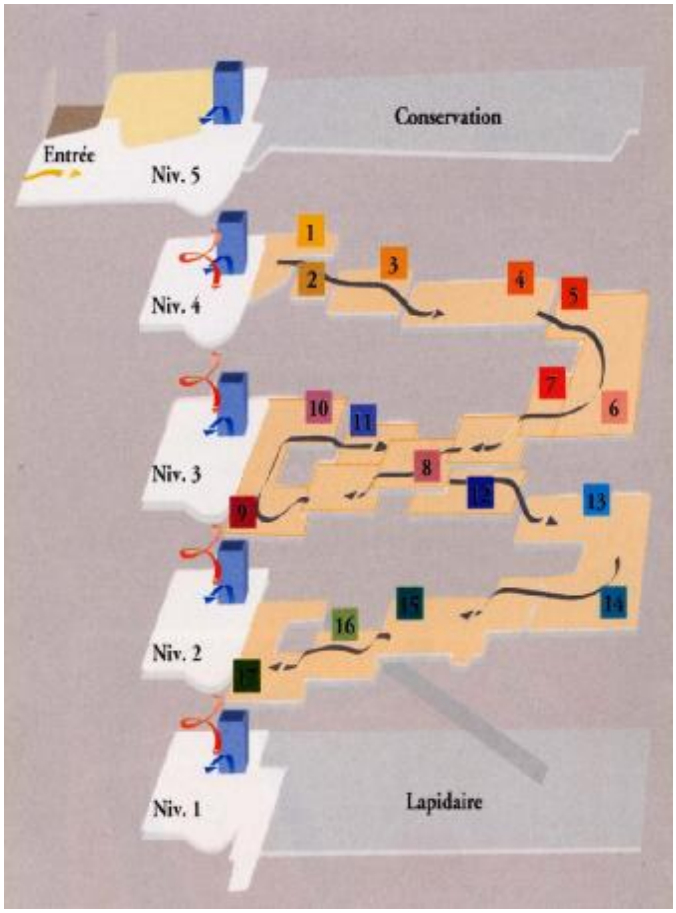

شكل رقم (5) مخطط متحف حضارة Gallo-romaine في مدينة ليون بفرنسة

والمثال الآخر لعملية بناء متحف موقع أثري كان في متحف Saint-Romain-en-Gal في مدينة Vienne بفرنسا، إِذْ بُنِيَ المتحف ضمن الموقع الأثري الروماني باستخدام الأعمدة الحديدية لرفع بناء المتحف ذي الجدران الزجاجية فوق أرضية الموقع الأثري، فيدخل الزائر إلى المتحف، ثم منه إلى الموقع الأثري؛ وبذلك يصبح المتحف بمنزلة البوابة للموقع (الشكل6).

شكل رقم (6) متحف Saint-Romain-en-Gal في مدينة Vienne في فرنسة ضمن الموقع الأثري الروماني

2_ الحدائق الأثرية:

ترتبط الحدائق الأثرية Parcs Aarchéologiques بمنطقة أو بوسط طبيعي تسمح بربط المواقع الأثرية وتاريخها، وتشكل نمطاً مستثمراً من المتاحف، ولكن هناك بعض الباحثين يرون أن هذه الأماكن الجديدة للعرض تقترب أكثر إلى السياحة الترفيهية والحاجة للتعلم؛ ولذلك تلقى رواجاً كبيراً لدى الجمهور. تسمح الحديقة الأثرية للزائر باكتشاف أعمال الأثريين والتنقيبات ضمن الموقع، وتشكل زيارة الحفريات في الموقع تجربة فريدة للجمهور وخاصة المجموعات المدرسية. يختلف تنوع أشكال الحدائق

الأثرية ونظمها بحسب طبيعة المواقع الأثرية وبقاياها المقدمة، بحسب الأسس والقواعد المتبعة لإنشاء الحدائق الأثرية في كل منطقة أو في كل بلد[22].

وأدى التطور الحاصل في إنشاء الحدائق الأثرية وإعادة بناء المواقع إلى استخدام واسع للتقنيات الحديثة في مجال الحفظ والتقديم والعرض التي لم تستخدم في المتحف سابقاً أو اقتصر استخدامها في بعض المجالات الضيقة، فنرى اليوم التقنيات التجريبية التي تساعد على فهم التراث الأثري وفق برنامج ثقافي محدد، وأصبح ذلك يسمى بعلم الآثار التجريبي Archéologie Expérimentale [23].

من أهم الأمثلة على الحدائق الأثرية في فرنسا حدائق عصور ما قبل التاريخ، وحديقة الغولوا Parc Gaulois وحديقة العصور الوسطى، وظهر هذا النمط من المتاحف لنشر التراث الأثري منذ عام 1978 وهو تاريخ افتتاح الأركيودروم دوبون Archéodrome de Beaune أول حديقة أثرية أعيد بناؤها في فرنسا، كما أُعيِدَ بناء قرية الغولوا village gailois في سانت جوليان Saint Julien وهي قرية من زمن أستيريكس Astérix، وقد شكلت أنموذجاً لإعادة البناء العلمية تكون ملائمة للعروض المتقدمة عن طريق عرض الحياة اليومية للإنسان القديم.

في حالة الحديقة الأثرية في Archéodrome de Beanne استُعينَ فضلاً عن إعادة البناء بالحجم الحقيقي، بالعرض الافتراضي Expositions Virtuelles باستخدام صور افتراضية بالتقنيات الحديثة لعرض مقتنيات الموقع الأثري وأطلاله وإعادة بناء حياة الإنسان القديم.

وقد شكل متحف حضارة السلت في بيبركت Bibraete بفرنسة مع الحديقة الأثرية نموذجاً رائعاً لحفظ التراث الأثري وعرضه، إِذْ قدم أمثلة متنوعة لإعادة البناء الأثرية المنجزة بحسب الوثائق والبحوث العلمية كأجزاء من الأبنية ونسخ القطع الأثرية،

22 Roy J. B., 2000, p.47
23 Nivart A., 2004, p.268.

وعرض مجسمات افتراضية (لقى أثرية، مبانٍ معمارية، جسم إنساني وحيوان) كما عرض نماذج حقيقية من مربعات التنقيبات في الموقع فضلاً عن نماذج من الأدوات والمواد المستخدمة في البناء وغيرها من وسائل العرض (الشكل 7_8).

شكل رقم (7) متحف Civilisation de Celt في موقع ببركت الأثري بفرنسة

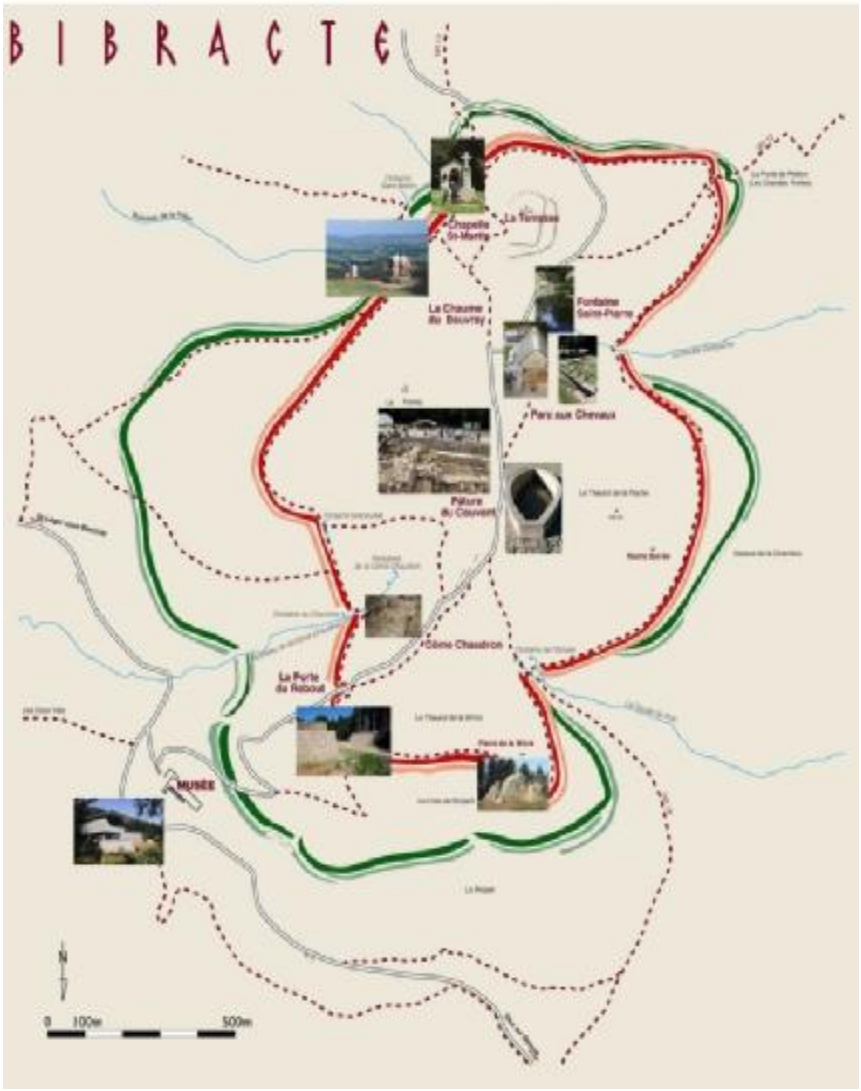

شكل رقم (8) مخطط موقع ببركت الأثري يظهر موقع متحف Civilisation de Celt وأهم المعالم الأثرية

3_ المتحف الافتراضي:

من الواضح أنَّ الاهتمام المتزايد بطرائق العرض الجديدة على شبكة الإنترنت مرتبطة بتطور المجتمعات المعاصرة والتطور السريع الحاصل في هذه الشبكة. وتشكل شبكة الإنترنت ووسائل الإعلام الحديثة التقنيات الحديثة في المعلومات والاتصال NTLC الأكثر توافقاً من أجل إكمال الاتصال مع المتحف اليوم.

أوجد المتحف الافتراضي Musée Virtuel نتيجة لتطور شبكة الإنترنت في نطاق العمل المتحفي فهو مساحة افتراضية مهمتها المساعدة على إدارة التراث الأثري الرقمي كالعرض والحفظ وغيرها، وهو يضم مجموعة من القطع الأثرية الرقمية ومصنفة بشكل منطقي، وتتألف من عدة روابط متنوعة للاتصال بها وتتفوق على الطرائق التقليدية جميعها للاتصال والتفاعل مع الجمهور، ولا يملك المتحف الافتراضي مكاناً أو مساحةً حقيقية، فالقطعة المعروضة والمعلومات المرفقة بها يمكن مشاهدتها في الجهات الأربع من العالم في الوقت نفسه ومن قبل شرائح الجمهور جميعها [24].

ولكن هذا النموذج الجديد من المتاحف خلق تخوفاً كبيراً لدى أمناء المتاحف إِذْ يرون أن الزائرين إذا استطاعوا رؤية المجموعات الأثرية على شبكة الإنترنت لا يأتون إلى المتحف، ويقل من ثمَّ أعداد زوار المتحف[25].

من أهم الأمثلة على المتاحف الافتراضية هو المتحف الافتراضي الإسلامي الذي هو ثمرة تعاون عدة دول عربية وأجنبية لإنجاز هذا العمل، ومن بينها الجمهورية العربية السورية، وموقعه على شبكة الإنترنت www.discoverislamicart.org. يقدم المتحف الافتراضي العديد من الفوائد يمكن أن نذكر منها ما يأتي:

24 Andrews et Schweibenz, 1998, Art Documentation, numéro du printemps, in Schweibenz W., 2004, p.3.
25 DELOCHE Bernard, 2005, Le musée virtuel, in L'objet de la muséologie, Institut d'histoire de l'art et de muséologie, Université de Neuchâtel, p.201.

1. عرض المجموعات الأثرية على شبكة الإنترنت التي تقدم إمكانية رؤية القطع المعروضة في صالات المتحف كما يمكن رؤية القطع الموجودة في المخازن التي عادة لا يمكن لزائر المتحف في الحالات العادية رؤيتها أو زيارتها.
2. التعاون بين المتاحف التي تسمح للزائر بالإفادة من رؤية العروض المختلفة لموضوع ما حتى المتاحف الأخرى، وفي الوقت نفسه تمكنه من الاتصال بالزائرين للأماكن الأخرى للعرض.
3. خلق عروض افتراضية التي تقدم للزائرين الفرصة للتنقل بين العروض، كما يرغب وبشكل محدد أكثر.
4. التشاركية من بعد، فالتقنيات الحديثة تسمح بإمكانية خلق مشروع تعاوني بين عدة متاحف ومؤسسات على بعد .
5. زيارة المخبر من بعد، والهدف هنا عمل رؤية مباشرة على العمل العلمي في المخبر .
6. اكتساب الخبرة من بعد، فالتطور الحديث في وسائل الأعلام تسمح بإمكانية الدخول إلى المجموعات على شبكة الإنترنت وإمكانية معالجة القطع الأثرية على بعد ومقارنتها وقياسها وغيرها.

كما أن مواقع شبكة الإنترنت للمتاحف تقدم فوائد كثيرة كإتاحة إمكانية الاتصال بين المختصين والباحثين وأعمالهم فضلاً عن القطع الأثرية من النموذج نفسه، أو من الفترة الزمنية نفسها التي تعرض في المتحف من عدة جهات جغرافية مختلفة .

ظهر أول متحف افتراضي عام 1995 في فرنسا، وانطلاقاً من هذا التاريخ بدأت المتاحف بتطوير مشاريعها على شبكة الإنترنت، وأصبح اليوم لكل متحف مشاريعه الخاصة في عرض المجموعات الأثرية على خط الشبكة[26].

26 STAVELOZ Walter, 2000, Les nouvelles technologies de l'information et de communication au secours de l'éducation informelle, in Les musées en mouvement :

ويمكن لموقع المتحف على شبكة الإنترنت أن يكون مجهزاً بعدة لغات عالمية كما يقدم المتحف الافتراضي خدمة رؤية المجموعات الأثرية لمتحف ما وزيارتها على شبكة الإنترنت من قبل زائرين من شتى أنحاء العالم دون أن ينتقلوا أو يسافروا، وتسمح لهم قواعد البيانات المزودة بها هذه المواقع من بناء زيارتهم واختيار ما يريدون رؤيته بحسب رغباتهم[27]. كما تسمح لشريحة ذوي الاحتياجات الخاصة من زيارة المتحف من دون أية مصاعب وعلى مدار الساعة، ويمكن زيارته من أي جهاز حاسوب موصول على شبكة الإنترنت.

وتخدم شبكة الإنترنت ووسائل الأعلام الحديثة الاهتمام المتعاظم للفنون، كما يعطي فهماً أفضلَ للتاريخ وتقدم إمكانيات واسعة غير متوافرة في وسائل الإعلام الأخرى. ونتيجة لذلك فقد تزايد انتشار المتاحف الافتراضية في عالم المتاحف المعاصر واتبعت المتاحف العالمية اليوم هذا الطريق لتأمين دخول الزائرين إلى عروضها على أوسع نطاق ومن أنحاء العالم كلّه.

الخاتمة:

وفي الختام يمكن القول: إنَّ تطور أساليب العرض وطرائقه والشرح للتراث الأثري لا تتوقف هنا، وإنَّما هي في تطور مستمر لخلق أنواع جديدة من طرائق حفظ التراث الأثري وعرضه في المستقبل. وبفضل علم الآثار أصبح بالإمكان إعادة بناء الماضي انطلاقاً من المكتشفات المادية للمواقع الأثرية المنقبة، هذا العلم يقوم بدراسة أرشيف الأرض Archive du sol البشري المدفون، ويسمح بنقل تاريخ الإنسان في كل جزء من الأرض ضمن نطاقه التاريخي والجغرافي.

nouvelles conception, nouveaux publics, Ed. de l'Université de Bruxelles, Belgique, p.202.

27 BREAKWELL Glynis, 1999, Usages des interactifs au musée, le cas de la galerie du verre au musée Victoria et Albert, in Publics et musées, n° 13, PUL, Lyon, p.29.

يشمل العرض الأثري في المتاحف كلاً من دراسة المجموعات الأثرية القادمة من التنقيبات، والترميم والحفظ، والتوثيق والتسجيل، والديكور وتنظيم مساحات العرض، وعرض القطع، والتصنيف والتوزيع، ووسائل الشرح والإيضاح، وتقويم العروض المتحفية، ودراسة جمهور المتحف وأخيراً تأهيل المواقع الأثرية وعرضها. تجري عملية العرض المتحفي الأثري وتُرَسُ بمساعدة عدة علوم وتخصصات مختلفة من بينها: علم المتاحف النظري الميّزيولوجيا والتطبيقي الميّزوغرافياMuséographie، وعلم الآثار، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، وعلوم الإعلام والاتصال وغيرها من العلوم الإنسانية والتطبيقية الأخرى ذات الصلة.

في وقتنا الحاضر تطرح العولمة وانتشار الثقافة الواحدة عدة تحديات كبيرة أمام الثقافات والهويات الوطنية في العالم. لذلك يجب على السياسات الثقافية إدراج مشروع تقوية الشعور الوطني والهوية الوطنية وتطويرها في مقابل ظهور الشكل الواحد لطرائق حياة الناس والعولمة، وهو ما تقوم به متاحف الآثار التي تعدُّ المعاهد الحقيقية التي تعنى بالمستقبل والماضي معاً. بناءً على ذلك يشكل متحف الآثار مكان الذاكرة لكل أمة الذي يعبّر عن هويتها الثقافية ويشكل في الوقت نفسه مكاناً يدلُّ على العلم والتعليم ورمزا للهوية الوطنية. كما يمكن القول: إنَّ متحف الآثار هو البطاقة الشخصية للمجتمع التي تعرض الرابط بين الإنسان وتاريخه ومحيطه ومستقبله كما تعرض أيضاً الروابط بالهوية والذاكرة والانتماء والثقافة.

وانطلاقاً من أهمية المتحف في حياة الأمة لا بدَّ من إنشاء المتحف على أساس المعايير والنماذج العالمية لمنشآت ونظم عمل المتاحف كمؤسسات ثقافية الذي يعدُّ ضرورة حيوية من أجل تطوير المتاحف في كل دولة من دول العالم. ونستطيع الوصول إلى النموذج الأمثل لإنشاء المتاحف من خلال المقارنة بين الخبرات والتجارب للدول في مجال حفظ التراث الأثري وعرضه في المتاحف.

المصادر والمراجع

(1) ALHAJI Said, 2008, *les méthodes d'expositions des collections archéologiques romaines au musée, nature et mise en scène. Etudes comparative entre les musées en France et les musées en Syrie*. Thèse de doctorat en muséologie, université de Bourgogne, France.

(2) Andrews et Schweibenz, 1998, Art Documentation, numéro du printemps, in Schweibenz W., 2004.

(3) APPEAR, *Mise en valeur des sites archéologiques en milieu urbain, Guide pratique*, Rapport de recherche n° 30/3, Commission Européenne : Direction Générale de la Recherche, Belgique, 2005.

(4) BARRUOL Gilles et POINSSOT Claude, 1987, Le musée de site archéologique, in *Les nouvelles de l'archéologie*, n° 27, Paris.

(5) BREAKWELL Glynis, 1999, Usages des interactifs au musée, le cas de la galerie du verre au musée Victoria et Albert, in Publics et musées, n° 13, PUL, Lyon.

(6) CHARPY Jean-Jacques, 2001, Le musée d'archéologie dans l'actuel paysage archéologique, in *Le dépôt archéologique, Conservation et gestion pour un projet scientifiques et culturel*, Actes des Assises nationales de la conservation archéologique, Bituriga, Bourges.

(7) DELOCHE Bernard, 2005, Le musée virtuel, in *L'objet de la muséologie*, Institut d'histoire de l'art et de muséologie, Université de Neuchâtel.

(8) DESROSIERS Pierre, 2006, Le modèle archéomuséologique et son application dans le musée d'archéologie, in *Un musée d'archéologie, pour quoi faire ?* Actes du colloque, L'asbl Musées et société en Wallonie (MSW) et la Société des Musées Québécois (SMQ), Namur, Belgique.

(9) DESROSIERS Pierre, 2005, *L'Archéomuséologie : Un modèle conceptuel interdisciplinaire*, Thèse de doctorat, Faculté des Lettres de l'Université Laval, Québec.

(10) EDSON G. et DEQN D., 1996, the Handbook for museums, Londres, Routeledge.

(11) GOB André et DROUGUET Noémie, 2006, *La muséologie : Histoire, développements, enjeux actuels*, 2e édition, Armand Colin, Paris.

(12) ICOM, *Musées de sites archéologiques*, Rapport préparé par Conseil International des Musées, UNESCO, Paris.

(13) ICOMOS,(Conseil International des Monuments et des Sites), 1996, *Chartes internationales sur la conservation et la restauration*, UNESCO, Paris.

(14) MOHEN Jean-Pierre, 2003, Les musées de site archéologique en France, in *Encyclopédie Universalia*, ADAGP, ISBN, Paris.

(15) MOREL-DELEDALLE Myriame, 2003, Musées de sites et de reconstitutions, in *Vestiges archéologiques en milieu extrême*, Institut National du Patrimoine, Edition du patrimoine, Paris.

(16) NIVART Anne, 2004, *De la fouille au musée, Les musées de préhistoire : nouveaux lieux, nouvelles fonctions*, Thèse de Doctorat, Muséum National d'Histoire Naturelle, Département des Galeries, Paris.

(17) QUERRIEN Armelle, 1986, *L'archéologie dans les musées et collections public de France*, thèse de doctorat, sous la direction de Jaques TIXIER, Université Paris X.

(18) RIVIERE Georges-Henri, 1989, *Leçon de Georges Henri Rivière*, in *La muséologie selon Georges-Henri Rivière*, Textes et témoignages, Dunod, Paris.

(19) ROY Jean-Bernard, 2000, Qu'est-ce qu'un musée archéologique ? in *Musées et collections publiques de France*, n° 227, A.G.C.C.P.F., Paris.

(20) STAVELOZ Walter, 2000, Les nouvelles technologies de l'information et de communication au secours de l'éducation informelle, in *Les musées en mouvement : nouvelles conception, nouveaux publics*, Ed. de l'Université de Bruxelles, Belgique.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2012/6/10.